وفهم إيڤان انه يلزمه وقت كي يعيد النظام ، فسعى لأن يحصل من ملك بولونيا على هدنة يوقف فيها القتال ريثما يتناقشان في الامور . ولكن تملقات مبعوثيه فشلت . لقد استقبلهم إتيين استقبالاً حسناً ولكنه لم يضعف أو يقلل من نشاط استعداداته للقتال . ورأى القيصر أن عليه أن يجهز جيشاً قوياً جداً ليحل محل الجيوش الممزقة في ليڤونيا أو يدعمها ولكي يحمل الحرب الى ليتوانيا بل والى بولونيا نفسها . وفي الخامس من كانون الاول ديسمبر ١٥٧٨ بدأت استعدادات روسيا لحرب على نطاق واسع وأعد القيصر جيشاً من ثمانية وعشرين ألف رجل أعطى قياداته الرئيسية الى القيصر السابق سيميون غراندوق تفير وايڤان موتيسلافسكي ودانييل نوغتييف وآخرين . أما إيڤان نفسه فقرر الذهاب الى نوفغورود ولكنه لم يفعل قبل شهر تموز يوليه من عام ١٥٧٩ . وكان كل شيء يرتبط بهجوم مفاجيء على إتيين بغية إخافة الدييت البولوني الذي كان اكثر نزوعا الى السلم من الملك . وفي آب اغسطس فتح البولونيون والليتوانيون مرحلة جديدة من الحرب بإلقائهم الحصار على بولوتسك .

وهكذا اخذ الملك إتيين زمام المبادرة . وكان إيڤان قد اكتفى بعمليات لا مغزى لها في ليڤونيا . وكان لا بد ان يكون لديه ما لا يقل عن مائة الف رجل بعد إنشاء جيشه الجديد الذي أصبح على الجبهة بحيث يستطيع التقدم بكل ثقة نحو ڤيلنا أو ڤارصوفيا ، ولكنه أحب أن ينتظر ليرى ما سيفعله خصمه لكي يرد بعد ذلك . وقد أرسل جيش دعم غير كاف من أجل انقاذ بولوتسك دون ان يتوقع ما كان يتمتع به ملك بولونيا من جراة ونشاط . وكانت حامية بولوتسك الروسية قد قاتلت بكل بسالة حتى أحرقت المدينة على يد عصبة مقدامة من الهنغاريين وتلا ذلك هجوم عام رد فيه المهاجمون وسط النار والدخان . وعلى العكس من سياسة الإرهاب التي كان يتبعها إيڤان فإن إتيين عرض على المدافعين أن يمنح الحرية وسلامة الوصول الى الحدود الروسية لكل من يستسلم منهم ، ولكن المدافعين كانوا يعرفون ماذا ينتظرهم من غضب القيصر لو